

فاسيلي بُودوستنيك  
أوفشي ياخت

Mouyn

ألف باء  
الماديتة الجديتة



دار الطليقة بيتوت

ترجمة

جوزج طرابيشي

جميع الحقوق محفوظة

لدار الطبيعة

ص.ب ١١١٨١٣

بيروت - لبنان

تلفون ٣٠٩٤٧٠

٢٥٧١٧٨

الطبعة الاولى

كانون الثاني (يناير) ١٩٧٩

فاسيلي بودوستنيك ، أوفسي ياضوت

# ألف باء المارديّة الجدلّية

شَرْحَةٌ

جورج طرابيشي

دارُ الطليعة للطباعة والنشر  
بيروت

هذه ترجمة لكتاب

**Précis De  
Matérialisme Dialectique**

**Par  
Vassili Podossetnik  
Ovchy Yakhot**

**Editions Du Progrès  
Moscou**

## تقديم

الغرض من هذا الوجيز أن يلم قراؤه بالمفاهيم والمشكلات الأساسية للمادية الجدلية التي تؤلف جزءا مكونا من الفلسفة الماركسية .

يأخذ مؤلفا هذا الوجيز بعين الاعتبار أيضا واقع أن القراء سيدرسونه للمرة الأولى الفلسفة الماركسية . لهذا حرصا على شرح مفاهيم المادية الجدلية ومقولاتها في شكل شعبي بقدر الإمكان ، موردين من الأمثلة أقربها وأسهلها إلى التناول ، قابسين أياها من ميدان العلم والحياة الاجتماعية .  
يأمل المؤلفان أن يكون هذا الوجيز نافعا لكل من يرغب في الإلمام بأصول الفلسفة الماركسية .

**المؤلفان**

## الفصل الأول

### المادية الجدلية فلسفة الماركسية

#### ١ - ما الفلسفة ؟

تعلمنا التجربة اليومية انه حتى نفهم على الوجه الصحيح ما يدور حولنا فلا بد ان تؤلف تصوراتنا عن الحياة والعالم والمكان الذي نشغله فيهما نسقا علميا متلاحما . والانسان بحاجة الى نسق كهذا لا يمكنه فهم علل الاحداث فحسب ، بل يمكنه ايضا تعيين مكانه في العالم وممارسة تأثير فعال على هذه الاحداث ، والمشاركة بفعالية في الكفاح التحرري الذي تدور رحاه في عصرنا هذا . وبعبارة اخرى ، لن يسعنا ان نفهم الاحداث التي تجري حولنا الا اذا استرشدنا بهدي تصور صحيح

للعالم يضم بين طياته كل ما نعرفه عن الحياة ، والعالم فسي مجمله ، والظواهر والاحداث التي تقع فيه . والفلسفة تحديدا هي التي تعطينا هذا الضرب من المعرفة . وبناء عليه ، يحتاج بناء الحياة الجديدة اشد الحاجة ، بجانب العلوم الاخرى ، الى الفلسفة . فعن طريقها ينمون فضولهم الفكري ، ويطورون موقفا متبصرا ازاء كل ما يجري في العالم ، ويوسعون افقهم . وكلمة «الفلسفة» بالذات ، التي نحتها في العصور القديمة الاغريق ، تعني حب الحكمة ، حب العلم .

بيد انه يخلق بنا الا يغيب عن انظارنا ان الفلسفات لا تعطي جميعا تصورا علميا عن العالم . فبعض الفلاسفة ، وعلى الاخص في البلدان الامبريالية ، يشوهون ويحرفون الاحداث التي تقع في العالم . وعليه ، لا تصلح كل فلسفة بلا تمييز لان تصير دليلا ومرشدا ، لانه ما كل تصور عن العالم صحيح بالحثم والضرورة . ان فلسفة مبنية على العلم هي وحدها التي تستطيع ان تعطي تصورا علميا عن العالم . وتبين لنا التجربة ان الناس ، بحصولهم على معارف فلسفية مبنية على العلم ، ينتهون الى قناعات ثابتة ، حازمة ، تفودهم الى الذود عن مصالح شعبهم وحرية بلادهم واستقلالها . والقناعة التي تتولد لدى الناس بصحة افكارهم تدفع بهم الى اجتراح مآثر عظيمة باسم السلام والسعادة .

كيف نفسر ، والحالة هذه ، اهمية الفلسفة ؟

اذا كانت الفيزياء و علم الفلك و علم الحياة و سائر العلوم تدرس القوانين التي تحكم قسما فقط من ظواهر الطبيعة ، فان الفلسفة بالمقابل تدرس اعم القوانين ، اي تلك التي تحكم ارتقاء العالم في مجمله . **الفلسفة هي علم اعم قوانين ارتقاء الطبيعة والمجتمع والفكر الانساني** . لكن بجانب الصواب لو اخلصنا من ذلك الى استنتاج يزعم ان الفلسفة يسعها الاستغناء عن العلوم الاخرى ، وان هذه العلوم تستطيع بدورها الاستغناء عن

الفلسفة . فهذه الاخيرة ليس لها ان تكون تصورا متقدما ،  
تقدما ، عن العالم ، ما لم ترتكز في استنتاجاتها الى منجزات  
العلوم الاخرى . ومثل هذه الفلسفة هي في عصرنا الحاضر  
فلسفة الماركسية - اللينينية التي تستند الى آخر مكتشفات  
العلم ، وتسليح بدورها هذا الاخير برؤية عامة للعالم وبمنهج  
للمعرفة متقدمين ، فتساعده على الوصول الى معارف جديدة ،  
الانسانية هي بمسيس الحاجة اليها .

تسليح الفلسفة البشر اذن بنسق من الافكار عن العالم . تلك  
هي قوتها . لكن سبق لنا القول انه ليس لدى الناس جميعا  
تصور واحد عن العالم . فهو عند بعضهم علمي وتقدمي ، وعند  
بعضهم الاخر منافع للعلم ، بله رجعي .

**مثال :** ان اولئك الذين يكافحون في سبيل حرية الشعوب  
وسعادتها والذين يذيقون هذه الشعوب الاضطهاد يفهمون فهما  
متغايرا معنى الحياة والسعادة والحرية ، الخ . واولئك الذين  
يكافحون الاستعمار والامبريالية لا يعطون لفظي الحرية والسعادة  
المعنى نفسه الذي يعطيها اياه الاستعماريون والامبرياليون .

ان هذا الاختلاف في وجهات النظر يرتفع ، في المقام  
الاول ، بالوضع الذي يشغله في الحياة وفي المجتمع هذا الفرد  
او ذلك . وكما يدلنا التاريخ ، لا يمكن ان توجد ، في مجتمع  
مؤلف من طبقات ومن فئات اجتماعية مختلفة متطاحنة ، فلسفة  
وحيدة ، تصور للعالم مشترك بين المضطهدين والمضطهدين .  
وليس للفلسفة ان تكون محايدة في الوقت الذي تخوض فيه  
الشعوب كفاحها من اجل الاطاحة بالنير الاجتماعي والاستعماري .  
الفلسفة ملتزمة اذن على الدوام . وبعبارة اخرى ، تذود عن  
مصالح طبقات محددة . لهذا كانت فلسفة كل حقبة تاريخية  
حلبة لصراع دوما . وكان المتصارعان على هذه الحلبة وما يزالان  
**المادية والثالية .**

ينبغي ان نلاحظ بادىء ذي بدء ان مدلول هذين المفهومين



عرضة للتحريف في غالب الاحيان . فالتطبقات الرجعية تسعى  
بجميع الوسائل الى الابقاء على التصور المبتدل للمادية والمثالية  
سائدا في صفوف الشعب . فالماضي بموجب هذا التصور المبتدل  
يهتم ، اول ما يهتم ، بمصالحة المادية . اما المثالي فيعمل في  
خدمة قضية ما ، فكرة ما ، مثل أعلى ما ، بصورة متجردة  
ومنزهة عن الغرض . وهذا التصور لا يمت بصلة الى الفارق  
القائم في الواقع بين المعسكرين الفلسفيين الرئيسيين . والحق  
ان الخط الفاصل بينهما يقع على مستوى مفاير تماما .  
بين جميع المسائل التي تهتم بها الفلسفة بوصفها واحدا من  
اقدام العلوم ، ثمة مسألة جوهرية يحدد حلها الاتجاه الاجمالي  
للنظام الفلسفي .

فيمَ تكمن اذن المسألة الجوهرية لكل فلسفة ؟  
نصطدم في العالم بكثرة من الاشياء والظواهرات . بعضها له  
وجوده المستقل عن وعي الانسان ، ومن ذلك الاحجار ، الاشجار ،  
الرعد ، البرق ، الماء ، الحيوانات ، النباتات ، وغيرها وغيرها .  
ونحن نعرفها بفضل ما تمارسه من تأثير على اعضاء حواسنا :  
ففي وسعنا ان نراها ونجسها ، ان نقيسها ونزنها . لكن توجد  
ايضا ظاهرات من نوع آخر ، كالفكر والاحساسات والارادة  
والرغبة على سبيل المثال . ونحن لا نستطيع لا ان نراها ولا ان  
نسمعها ، لا ان نقيسها ولا ان نزنها . ان هذه الظاهرات لا توجد  
الا في وعي الانسان . اذن توجد في العالم فئتان من الظاهرات :  
ظاهرات لا تتعلق بوعينا ، بل توجد موضوعيا ، اي بذاتها ؛ انها  
الظاهرات المادية . والظاهرات الاخرى لا توجد الا في وعينا .  
وهي ظاهرات **مثالية** ، **روحية** . والسؤال الكبير هو الذي يتعلق  
بمعرفة ما علاقة التبعية التي ينبغي ان نقيسها بين هاتين الفئتين  
من الظاهرات ؟ وبعبارة اخرى ، ما الذي ينبغي ان نعتبره معطى  
اول : العالم المادي (الطبيعة) او الوعي ؟ وهذا واحد من وجوه